باب تدبير الصحة

صدقت النساء المقربطات

واخطأت الضاحكات

تُطلق في اللغة العامية كلمة « المقربطات » في مصر والشام على فريق من النساء مصابات بسرساب النظافة والغسل . فاذا قيل « امرأة مقربطة » حضرت في الذهن صورة امراة لا همّ لها غير النظافة في البيت . فهي تحف بلاط الدار وارض المنازل بالرمل وتغسلها بالصابون اكثر من مرة في الاسبوع . ولا تسمح لاحد ان يدوس فيها بحذائه واذا اتفق وداس فيها زائر عزيز تستحي من تعنيفه وردعه انتظرته حتى يخرج من بيتها فتحمل الصابون وتاخذ بغسل آثار اقدامه في البلاط والبيت . وقد تبالغ احياناً في هذا التنظيف فاذا زارتها احدى رفيقاتها وسلمت عليها غسلت بعد ذلك فمها ويديها بالصابون وغسلت المكان الذي جلست فيه زائرتها . واذا مس ثوبها في السوق ثوب شحاذ او غيره هرعت الى البيت وغسلت الجانب الممسوس بالصابون . وفضلاً عن ذلك فان لها في المنزل غرفة خاصة بها وهي تكاد تكون حرماً على الجميع حتى على اولاد المنزل وخدمه ولا يدخلها احد قبل ان يغير ملابسه ويُغسل بالماء والصابون . وذلك على طريقة براهمة الهنود غير ان هؤلاء يغسلون الذي يرومون تطهيره ببول البقر وبئس هذا التطهير

اما رفيقات هذه المراة فانهن يضحكن منها ويستهزئن بها في خلواتهنّ . ورغبة في اظهار « خرفها » تقول احداهن انّ زوجي يدخل لابساً حذاءه حتى سرير النوم . وتلك تقول ان اخي لا ينزع حذاءه من قدميه طول النهار بل يروح به ويغدو على فرش البيت واثاثه . وبعضهن لا يكتفين بهذا الانتقاد بل يعمدن الى المازحة والمداعبة . فقد سُمع ان احداهنّ بعثت من يرمي في السر في بلاط دار احدى اولئك المقربطات جرذاً ميتاً فلما ابصرت صاحبة الدار الجرذ على البلاط اغمي عليها في الحال

فمن المصيب من هذين الفريقين . المقربطات ام الضاحكات

لا ريب في انّ كثيرين من الضاحكات يستغربن جداً ما سنقوله في هذه النبذة .

فان العلم قد اثبت ان الحق في ذلك في جانب المقربطات وان النساء مهما بالغن في اجتناب الاقذار ودفع ما ياتي من السوق والشوارع فانهن يبقين مقصرات

ان كل مريض من المرضى بالمدينة . كل مصاب بالسل والجذام والتتانوس والسرطان والطاعون (في اوقات الطاعون) والجدري (في اوقات الجدري) وغير ذلك من الامراض — كل مصاب بها يمشي في السوق والشوارع ويعاشر الاصحاء ويبصق في الطرق . وهذا البصاق يجف مع تراب السوق ثم يتطاير معه عند اقل نسمة ريح فيقع على المارين ويلصق باحذيتهم واطراف بنطلونات الرجال وذيول فساطين الرجال . فمتى عاد هؤلاء الى المنازل عادوا وهم يحملون اقبح الهدايا معهم . فاذا « صوبنت » المراة «المقربطة» آثار اقدام زائرها او زائرتها فربما تكون قد انزالت بذلك من موقع القدم جراثيم عدة امراض . وفضلاً عن ذلك ان الاطباء فحصوا المركبات العمومية في اكثر الممالك ومركبات الترامواي والاومنيبوس ومراقد السفن البخارية والقطارات فوجدوا فيها كلها جراثيم الحمى والسل والسرطان وغيرها . وقد بحث اطباء الجزائر من عهد قريب في النظافة في الكنائس والجوامع فيها فوجدوا في ارضها كثيرًا من جراثيم الادواء ولا سيما في الكنائس لان النظافة في الجوامع الجزائرية كانت اشد من النظافة في كنائسها . وفحصت بعض الايقونات فوجد عليها كثير من الميكروبات التي تنتقل الى الانسان عند تقبيله اياها . وقد يكون الانسان مارًا في طريقه فلا يشعر الا والبسط والفرش تُنفض من النوافذ فوق راسه والله اعلم بما فيها من ميكروبات الامراض التي تمتزج بالهواء ثم ترسب على الارض وما فوقها من الحوانيت والمخازن . فلا شيء اقبح من هذه العادة عادة نفض الاشياء من نوافذ المنازل كما انه لا شيء اقبح من عادة اصحاب الحوانيت والمخازن الذين يبسطون بضائعهم وفاكهتهم امام حوانيتهم تحت تلك المنازل التي ترسل عليهم كل حين صواعق الميكروبات . وما كان اعظم فضل المجالس البلدية لو كانت تقضي بان لا تُبسط تلك الاشياء الا ضمن بيوت زجاجية . والانكى من ذلك كله انك تكون سائرًا في شارع شريف باشا مثلاً مطمئن البال فلا تشعر الا واحد الساقة (العربجية) قد تناول من مركبته البساط الذي يُوضع في المركبة تحت اقدام الركاب واخذ ينفضه في عرض الشارع فينعقد منه غبار كثيف حامل اكثر انواع الميكروبات القاتلة كما يحمل الغيم الكثيف الصواعق المهلكة . فهل يجوز لك بعد ذلك ان تلوم النساء المقربطات على محاربتهن تلك الآفات بالماء والصابون

ولكن يا للاسف ان منازل « المقربطات » نفسها قد تكون اعشاشاً لميكروبات الامراض

التي ترتع في الرطوبة و يلذ لها التكاثر فيها . فالماء والصابون لا يُجديان اذًا نفعًا عظيمًا ولا كل انواع المطهرات لان الجراثيم فاشية في كل مكان في السوق والشوارع والقهاوي والحانات والفنادق والتياترات والكنائس والجوامع والمركبات وفي كل الاماكن العمومية اذ لا سبيل الى منع المرضى بالامراض المختلفة من الذهاب الى الاماكن التي تقدم ذكرها لانها عمومية . ولا يبعد ان ياتي يوم تنشأ فيه الهيئة الاجتماعية مستشفيات مجانية الزامية لعزل المرضى فيها ومعالجتهم باحسن مما يعالجون به انفسهم استئصالاً لجراثيم الادواء التي يشتد فتكها في الناس و يعمهم بلاؤها . ولكن قبل ان تُنشأ هذه المستشفيات لا سبيل لحفظ الاجسام من تلك الجراثيم العامة الطامة الا بطرق دفاعية . ورأس هذه الطرق الدفاعية (١) حسن التغذية وهو امر في غاية الاهمية (٢) اطلاق الشمس والهواء في المنازل والخروج لاستنشاق الهواء النقي في الخلاء ساعة او ساعتين في النهار مع الرياضة الجسدية (٣) عدم التعرض لمنهكات الاجسام ومضعفاتها كالسهر الطويل وعلى الخصوص اذا كان يخالطه اللعب بالورق والمسكر (٤) النظافة التامة وتخصيص غرفة لنفض الثياب فيها والامتناع من الدخول الى غرف المنزل بالحذاء الذي تدوس به في كل مكان خارجًا

فاذا حفظتَ هذه الوصايا حفظًا تامًا كنتَ اكثر مقدرة من « المقرَبطات » على مقاومة جراثيم الادواء بل كنت قادرًا على اقتحام تلك الجراثيم ومخالطة المرضى دون ان تخشى شرًا لان جسمك يقوى بتلك المعيشة قوة تجعل الجراثيم عاجزة عن التاثير فيه . وهذا خير دواء عند الاطباء

الدكتور كوخ والسل

وشجاعة طبيب فرنسوي

لخصنا في الجزء الماضي شيئًا من اعمال مؤتمر السل الذي عقد في لندن ووعدنا بالعودة اليه خصوصًا الى ما ذكره الدكتور كوخ الالماني المشهور بان السل الذي يصيب البقر لا يعدي الانسان . وكان الاطباء ولا يزالون يعتقدون بان السل البقري معدٍ ولذلك يراقبون البقر المصابة مراقبة شديدة و يوصون باغلاء كل لبن قبل شربه . اما الادلة التي استند اليها الدكتور كوخ فهي تجارب اجراها في بعض العجول في المانيا . فانه جاء بميكروب السل البشري وحقن به العجول فلم يظهر السل فيها بل بقيت في صحة تامة فجاء بميكروب سل

البقر وحقن العجول به فلم تمضِ عليها ايام حتى ظهر بها السل البقري وتوفي بعضها . فاستنتج من ذلك ان سل البقر غير سل البشر وان الاول لا يؤثر في الثاني كما ان الثاني لا يؤثر في الاول . ومما دعم به هذا الراي ان السل البقري اذا كان ينتقل الى الانسان وجب ان يكون ظهوره في الامعاء . وقد فحص هو وغيره من العلماء كثيرين من المصابين بالسل فكانت نسبة المصابين في امعائهم الى المصابين في صدورهم قليلة جداً مع ان ميكروبات السل البقري كثيرة الوجود في اللبن والزبدة

وقد ذكرنا فيما مرَّ ان الاطباء في كل البلاد دهشوا واي دهشة من كلام الدكتور كوخ . وقد ردَّ عليه بعضهم ضمناً في الخطب التي القيت في المؤتمر فاثبتوا ان وفيات السل في انكلترا قد نقصت في الاعوام الاخيرة ٤٠ في المائة لاهتمام حكومتها بجعل المساكن نظيفة كثيرة الهواء ولكن وفيات الاطفال زادت ٢٠ في المائة وسبب هذه الزيادة عدم اهتمام الحكومة الانكليزية بمراقبة البقر المسلولة فكثرت وفياة الاطفال الانكليز بدائها الذي كان يصيبها بالامعاء عند شربها لبنها

ولا يخفى ان هذه الحجة حجة مقنعة اذا ثبت ان زيادة المسلولين من الاطفال في انكلترا ناشئة عن تدرن امعائهم من تاثير لبن البقر المسلولة . ولكن الدكتور كوخ لم تقنعه هذه الحجة فبقي ثابتاً على رايه فتصدى له حينئذٍ الدكتور كارنول احد الاطباء الباريزيين المعروفين وكتب اليه الكتاب التالي

« ايها المعلم المحترم

« اتيتُ طائعاً مختاراً اقدم لك نفسي لتجرب فيَّ تجربة بان تحقني بميكروب السل البقري لنرى اذا كان هذا السل ينتقل من الحيوان الى الانسان ام لا . وانا اعتقد انك مخطئ في الراي الذي رايته ومتحقق انني ساصاب بالسل من تجربتك . ولكني قلما اتاسف لذلك اذ ليس لي ولد وانا الآن في الواحدة والاربعين من عمري وثقلي مائة كيلو وطولي متر و٨١ سنتيمتراً وصحتي جيدة جداً وان كنتَ في ريب من ذلك فامتحني بمادة التوبركولين (وهي مادة يُعرف بها اذا كان الرجل مسلولاً او لا)

« وان الناس في المعارك الحربية يقدمون انفسهم الوفا الوفا لموت محقق . فانا وان كنتُ معتقداً بانني ساصاب بالسل من تجربتك ارى ان الانسان في ساحة العراك في الحياة الاجتماعية يستطيع ان يصنع صنع اوائك . فانا الآن تحت طلبك سواء في باريز او برلين ولك الخيار في الشروط التي ترومها)

ولما نشر كتاب هذا الدكتور قرصه زملاؤه بلواذع التهكم وقال الدكتور برواردل المشهور في حديث له ان لا فائدة من هذه التجربة لان الدكتور كارنول قد يكون ذا بنية قادرة على مقاومة ميكروب السل فلا يصاب به وان كان السل البقري يعدي الانسان وفضلاً عن ذلك فان التجربة في الانسان امر غير جائز شرعاً

وقد مضت على الدكتور كارنول خمسة ايام بعد ارساله هذا الكتاب الى الدكتور كوخ دون ان يرده جواب منه فاستنتج من ذلك ان الدكتور كوخ لا يريد ان يجرب ذلك فيه فقال انه يجربها هو نفسه بنفسه فقال له الدكتور نيكار صاحب الشان فيما يختص بمزدرعات ميكروبات المواشي انني لا اعطيك شيئاً من الميكروبات البقرية للتجربة . فقال الدكتور كارنول انه يسافر اذاً الى لندن واذا لم يقبلوه في لندن ايضاً سافر الى اميركا حيث يحترمون الحرية الشخصية اشد احترام فيتركونه يصنع بنفسه ما يشاء . ثم قال لمحدثيه انني لا اعدل عن هذه التجربة مطلقاً الا متى اعترف الدكتور كوخ بخطاءه فقيل له وهل انت تحدث الآن مشكلة المانية فرنسوية بين اطباء برلين وباريز فقال كلا وانما اريد ان ابرهن على خطاء كوخ وان اصبتُ بالسل فانني قادر على الشفاء منه بعد ذلك بما لدى العلم والطب من الوسائل . ومن العجب ان يمنعوني عن تقديم نفسي للموت افادة للعلم حالة كونهم يجندون في كل عام مئات الوف من الناس ويسوقونهم للموت من غير رضاهم واختيارهم .

ولما ابطأ الدكتور كوخ في الجواب ركب الدكتور كارنول القطار وسافر الى برلين لمقابلة كوخ قال الدكتور كارنول فلما تقابلنا اضطربنا كلانا لان الدكتور كوخ يريد ان نتكلم بالالمانية وانا اريد ان نتكلم بالفرنسوية فعدنا واتفقنا على الكلام بالانكليزية . فقال لي انه لا يستطيع ان يجرب فيَّ التجربة التي اروما وفضلاً عن ذلك فانه لم يقل بان الحقن بميكروبات سلّ البقر لا ينقل السلّ البقري الى الانسان ولكنه قال ان شرب لبن البقر الموبوء بالسل لا ينقل ميكروبها اليه لان ميكروبات السل تكون ضعيفة في اللبن . فعاد الدكتور كارنول من برلين وفي نيته هذا الامر : ان يقيم في مكان يأخذ اليه بقراً مصابة بالسل ويشرب من لبنها سنة كاملة بلا انقطاع ويجتهد في تكثير ميكروبات السل في اللبن الذي يشربه . فاذا مرَّ العام ولم يُصب بالسل كان كوخ صادقاً واذا اصيب به كان كوخ مخطئاً

وسنواصل القراء بما يجدُّ في هذه التجربة الغريبة التي تدل على ان للعلم ابطالاً كما ان للحروب ابطالاً . والفرق بين الفريقين ان ابطال العلم يضحون حياتهم في سبيله وابطال

الحروب يضحون حياة غيرهم وشتان بين الاثنين

و بعد كتابة ما تقدم نقلت الشركات البرقية ان الحكومة الانكليزية عينت لجنة للبحث في مسالة انتقال السل البقري من الحيوان الى الانسان والقطع فيها

آثار الشرق القديمة

العجل ابيس

﴿ الذي كان يعبده المصريون ﴾

ذُكر العجل الذي كان يعبده المصريون في كتب اليهود والمسلمين والمسيحيين . فقد